

أضواء البيان

@ 362 @ القرآن في قوله : { وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا لَكُمْ الْذُّجُومَ لِيَتَّهَتْدُوا }
بِهَا فِي طُلُمَاتِ الْبِرِّ وَالْبِحْرِ { . قوله تعالى : { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ
لَا يَخْلُقُ } . تقدم بيان مثل هذه الآية في موضعين . ! 7 7 ! قوله تعالى : { وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } . ذكر
جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن بني آدم لا يقدرّون على إحصاء نعم الله لكثرتها عليهم ،
وأُتبع ذلك بقوله : { إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } فدل ذلك على تقصير بني آدم في
شكر تلك النعم ، وأن الله يغفر لمن تاب منهم ، ويغفر لمن شاء أن يغفر له ذلك التقصير في
شكر النعم . وبين هذا الفهم المشار إليه هنا بقوله : { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ
اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَافُومٌ كَفَّارٌ } . .
وبين في موضع آخر : أن كل النعم على بني آدم منه جل وعلا ، وذلك في قوله : { وَمَا
بِكُمْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ } . .
وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن المفرد إذا كان اسم جنس وأضيف إلى معرفة أنه يعم
كما تقرر في الأصول . لأن (نعمة الله) مفرد أضيف إلى معرفة فعم النعم . وإليه الإشارة
بقول صاحب مراقبي السعود عاطفاً على صيغ العموم : وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن
المفرد إذا كان اسم جنس وأضيف إلى معرفة أنه يعم كما تقرر في الأصول . لأن (نعمة الله)
مفرد أضيف إلى معرفة فعم النعم . وإليه الإشارة بقول صاحب مراقبي السعود عاطفاً على صيغ
العموم : (أو بإضافة إلى معرف % إذا تحقق الخصوص قد نفى) % وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ { . ذكر جل وعلا في هذه
الآية الكريمة : أن الكفار إذا سئلوا عما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
: لم ينزل عليه شيء . وإنما هذا الذي يتكلم به من أساطير الأولين ، نقله من كتبهم .
والأساطير : جمع أسطورة أو إسطورة ، وهي الشيء المسطور في كتب الأقدمين من الأكاذيب
والأباطيل . أصلها من سطر : إذا كتب . ومنه قوله تعالى : { وَكَتَابَ مِصْرَ طُورٍ } .
وقال بعض العلماء : الأساطير : الترهات والأباطيل . وأوضح هذا المعنى في آيات أخر .
كقوله : { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } وَكَتَابَ الْأَنْبِيَاءِ فَبِهَا تُمْلَى عَلَيْهِمْ
بُكْرَةً وَأَخِيلاً { ، وقوله : { وَإِذَا تُمْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا
قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا لَاسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .

وقوله : { مَآذٍ } يحتمل أن تكون (ذا) موصولة و (ما) مبتدأ ، وجملة (أنزل)